Cahiers de Traduction

Volume 30 Issue 01/June 2024 pp **303-313**

ISSN 1111- 4606 **EISSN** 2602-6023

في سوسيولوجيا الترجمة

An Overview of Sociology of Translation

د. بوخلف فايزة[1]

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر

مخبر تكنولوجيات الإعلام و الإتصال في تعليم اللغات و الترجمة

f.boukhelef@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام:2024/03/29 *تاريخ القبول: 2024/05/24* *تاريخ النشر 2024/06/02*

ملخص:

شهدت دراسات الترجمة منذ نشأتها العديد من التحولات الجذرية التي تمخضت عنها منعطفات حاسمة كانت السبب الرئيس وراء تطور مفهوم الترجمة وآلياتها. تصبو هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على المنعطف السوسيولوجي لدراسات الترجمة، فهي تستعرض أبرز النظريات الاجتماعية التي كان لها كبير الأثر على دراسات الترجمة خاصة نظرية الحقل الاجتماعي لبورديو(Bourdieu). يرمي هذا البحث أيضا إلى دراسة كيفية استثمار مفاهيم بورديو على غرار مفهوم الحقل، الهابيتوس ورأس المال في دراسات الترجمة قصد فهم أعمق لفاعلية الترجمة و إرساء مفهوم سوسيولوجيا الترجمة.

كلمات مفتاحية: المنعطف السوسيولوجي، بورديو، الحقل، الهابيتوس، رأس المال، سوسيولوجيا الترجمة.

Abstract

Translation studies has undergone significant changes since its establishment, leading to crucial shifts that have played a pivotal role in the evolution of the notion and methods of translation. The present paper attempts to direct a limelight on the sociological turn of translation studies. It reviews the most notable sociological theories that have been applied to translation studies with special focus on Bourdieu's theory of social fields. Furthermore, the current study investigates how Bourdieu's sociological concepts such as Field , Capital and Habitus have been adopted and transplanted in the field of translation studies to develop better understanding of the sociology of translation.

Keywords: sociological turn, Bourdieu, Field, Habitus, Capital, Sociology of Translation.

1. مقدمة:

شهد تاريخ دراسات الترجمة العديد من التحولات المفصلية التي تمخضت عنها منعطفات حاسمة تغيرت وفقها مجموع الرؤى والتصورات التي تشكلت حول مفهوم الترجمة وآلياتها، وسمحت تلك المنعطفات بتطور علم الترجمة وولوجه إلى عوالم مختلفة. ولعل أبرز تلك المنعطفات ما اصطلح عليه في

[1] المؤلف المرسل: بوخلف فايزة

منتصف خمسينيات القرن العشرين بالمنعطف اللساني(Linguistic Turn)، حيث ظل الدارسون ينظرون إلى الترجمة بعدسة اللسانيات البحتة، فيما جردت الترجمة طيلة عقود متتالية من الزمن من أبعادها الحيوية الأخرى، إلى أن أسفر السجال القائم بين المنظرين في ثمانينيات القرن الماضي إلى بروز تيار جديد يمنح المترجم فاعلية أكثر في ظل ما يعرف بالمنعطف الثقافي لدراسات الترجمة(Cultural Turn) والذي استعادت الترجمة في كنفه بعض خصائصها الثقافية والاجتماعية المهمشة سابقا.

لقد أفضت الدراسات الثقافية بدورها إلى تحولات عميقة في السنوات الأخيرة، تغيرت على إثرها الملامح العامة لعلم الترجمة. وانتقل الاهتمام من النص المصدر ومتلقى النص الهدف إلى التركيز على المترجم والترجمة والأعمال المترجمة في خضم المنعطف السوسيولوجي للترجمة(Sociological Turn).

تصبو هذه الورقة البحثية إلى تتبع مسار دراسات الترجمة التي تأثرت بمختلف مناهج البحث وصولا عند علم اجتماع الترجمة.(Sociology of Translation) وظروف الانتقال من البنيوية إلى البنيوية التكوينية قصد إرساء مفهوم سوسيولوجيا الترجمة وأهم المفاهيم المترتبة عن ذلك وترسيخها ضمن دراسات الترجمة، ومن ثمة تسليط الضوء على الترجمة باعتبارها فعلا اجتماعيا.

تهدف هذه الدراسة إلى استعراض أهم نظريات علم الاجتماع التي كان لها الفضل في تبلور سوسيولوجيا الترجمة، لكنها تركز بشكل أكبر على نظرية بورديو (Bourdieu) وتسعى لإسقاط أهم المفاهيم التي جاء بها على الحقل الترجمي. إذ تزداد الحاجة في ظل العولمة و تداعياتها إلى فهم هذه المقاربة الاجتماعية الجديدة وإدراك آليات عملها وتطبيقها لاكتساب القدرة على تحليل الترجمة مفهوميا وإجرائيا من الناحية الاجتماعية. فما هي اسهامات نظريات علم الإجتماع عموما ونظرية بورديو على وجه التحديد في حقل الترجمة؟

2. رحلة دراسات الترجمة من البنيوية إلى البنيوية التكوينية

من المعلوم أن دراسات الترجمة قد خاضت منذ بداية التنظير لها معارك شرسة، وكانت محل نقاشات محتدمة واتخذت اشكالا وتسميات مختلفة قبل أن تستقر على ما هي عليه اليوم. لكننا سنحاول في هذه الخطوة من البحث التركيز فقط على ما يخدم هذا البحث ويحقق الغاية منه. إذ سنعمل على جسر المشوار الطويل الذي قطعته دراسات الترجمة على مدار العقود الفائتة واختزاله في ثلاث محطات رئيسية تعتبر بمثابة تحولات جذرية في مسار دراسات الترجمة.

يري **مانداي** (Munday) أن الترجمة قد "انتقلت من دراسة الكلمات إلى دراسة النص، فدراسة السياق الاجتماعي الثقافي ومنه إلى دراسة الممارسات المهنية للمترجمين أنفسهم" [2] (Munday J. , Introducing Translation Studies, 2016, p. 27) الترجمة لنا. يشير مانداي من خلال ذلك إلى أهم التحولات التي اعترت دراسات الترجمة منذ القرن الماضي، وانتقال اهتمام الدارسين تدريجيا من التركيز على الكلمة ثم النص كموضوع للترجمة، إلى الانفتاح أكثر على العوامل الخارجية التي تؤثر في تشكيل هذا النص وترجمته، وكذا تلقيه في الثقافات الهدف، لتهتدي تلك الدراسات مؤخرا ضمن تصور جديد إلى أهمية ربط دراسات الترجمة بعلم الاجتماع المعاصر وبروز علم اجتماع الترجمة أو ما يعرف بسوسيولوجيا الترجمة.

إن هذا الانتقال بطبيعة الحال من البنيوية اللغوية إلى البنيوية التكوينية لم يحدث بين عشية وضحاها، بل كان تدريجيا وبطريقة سلسة. فإذا عدنا إلى أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، نجد أن الترجمة وعلى مدى عقود طويلة اعتبرت مجرد فرع من فروع اللسانيات التطبيقية، فاستخدمت الترجمة

[2] Translation has moved from the study of words to text to sociocultural context to the working practices of the translators themselves."

آنذاك كأداة لفهم الخصائص اللغوية بشكل أفضل. وتعتبر اللسانيات الحاضنة التي تشكلت فيها النواة الأولى لعلم الترجمة. "لقد استهدت نظريات الترجمة باللسانيات التماسا منها إلى سمة العلمية فيها، وابتغاء إضفاء مسحة من اليقين في منجزاتها إذا هي ركنت إلى علم لغوي يتشدد كثيرا في ضبط أدواته ومصطلحاته". (مونسي، 2003، الصفحات 165-184) فقد أسهمت علوم اللغة بشتى أنواعها بقدر كبير في صياغة نظريات الترجمة. ويعود الفضل لعلماء اللغة في التحليل العلمي لظاهرة الترجمة وفق قواعد اللسانيات ومن ثمة تقديم التعريفات الأولى للترجمة وبلورة باكورة نظرياتها اللسانية. ويعتبر كاتفورد (Catford) من بين المنظرين الأوائل لنظرية الترجمة الذين أعطوا للترجمة تعريفا لسانيا حيث يعتبرها "مجرد استبدال نص من لغة ما بنص مكافئ له في لغة أخرى" .الترجمة لنا[3] (Catford, 1965, p. 20) .فيعتبر مفهوم التكافؤ أهم مفهوم دارت في فلكه كل النظريات اللسانية للترجمة والذي تقيم على أساسه الممارسة الترجمية.

مما لا شك فيه أن فضل اللسانيات على الترجمة كبير، فالمقاربة اللسانية للترجمة قد أضفت على هذه الأخيرة الطابع العلمي المحض الذي أهل الترجمة بعد عقود من الدراسة والتحليل لتصبح في سبعينيات القرن الماضي مجالا للدراسة الأكاديمية في المعاهد والجامعات تحت مسمى دراسات الترجمة (Translation Studies).

من فضل اللسانيات على الترجمة أيضا ظهور الترجمة المحوسبة من خلال المعالجة الآلية للغات الطبيعية. إلا أن نظرة اللسانيين إلى الترجمة لم تتعد كونها مجرد نقل، يشمل نقل مادة نصية من اللغة المصدر الى اللغة الهدف وفق قواعد محددة. فلم تتجاوز أبحاثهم بذلك جغرافية الكلمة أو الجملة. إذ شكلت الجملة وحدة البحث القصوى في تلك الدراسات البنيوية. والترجمة من منظور اللسانيين أيضا هي بمثابة مواجهة بين المترجم والنص الأصلي تتحدد فيها الأمانة والخيانة مقارنة بمدى التصاق المترجم بالنص المصدر موضوع الترجمة، ومن هذا المنظور ظلت الترجمة الحرفية على مدى عقود معيارا للأمانة، وكانت آليات البحث في الترجمة حينها مستنبطة من علم التراكيب، مما يفسر انتشار مفهوم التكافؤ كأحد المفاهيم الأساسية المتداولة بكثرة ضمن النظرية اللسانية للترجمة مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك.

إن عدم القدرة على تطبيق النظريات اللسانية البنيوية على بعض أنماط النصوص من قبيل النص الأدبي، و قصور الترجمة الحرفية عن تأدية المعنى المنوط بالنصوص الأدبية والدينية على وجه الخصوص وتحقيق أثرها، دفع ببعض اللسانين إلى توسيع مجال الدراسة من الكلمة إلى النص. ففي أواخر السبعينيات تقريبا، تجاوز اللسانيون مرحلة التركيز على الجملة ومكوناتها، وانتقلوا إلى التركيز على مجمل النص بوصفه أداة تواصل تحتمل وجود مرسل ومتلقي و سياق، فظهرت على اثر ذلك لسانيات النص، التي أضفت على عملية الترجمة بعدا تواصليا.

سرعان ما فتح الاهتمام بالسياق الثقافي الباب في منتصف الثمانينات لظهور دراسات الترجمة الوصفية (DTS) بزعامة جيدبون توري (Gideon Toury) الذي يصف الترجمة على أنها "سلوك لغوي يتأثر ويتشكل اساسا بمواضعات لغوية ترجمية وثقافية تتبناها ضمنيا جماعة المترجمين في لحظة ما و في ثقافة بعينها." (فكري، 2009) هذه المواضعات هي ما يدعوه توري بمعاير الترجمة، وبالتالي فإن الترجمة من منظوره هي سلوك معياري تخضع من خلاله خيارات المترجم الفرد للمواضعات التي اتفقت عليها جماعة المترجمين مسبقا.

على الرغم من القيود التي يفرضها هذا الطرح على المترجم الفرد والتي من دونها لا تتحقق عملية الترجمة، إلا انه مهد الطريق لتحول آخر جديد في دراسات الترجمة ذاع صيته في نهاية الثمانينات تحت مسمى المنعطف الثقافي لدراسات الترجمة، حيث رأى رواد هذا الاتجاه وعلى رأسهم سوزان باسنيت (Susan Bassnet) وأندري لوفيفير (André Lefevere) ضرورة ابتعاد الترجمة عن علوم اللغة البحتة لتتجه كليا نحو الدراسات الثقافية

[3] "Translation is the replacement of textual material in one language (SL) by equivalent textual material in another language" (TL).

السائدة، وتستثمر مفاهيمها وطرق بحثها لتفسير الظاهرة الترجمية، وفي ضوء هذا التحول نشأ الاهتمام بالعلاقة بين الترجمة وبعض المباحث المندرجة ضمن الدراسات الثقافية على غرار دراسات الجندر ومابعد الكلونيالية وقد أولى هذا الاتجاه عناية خاصة للثقافة كعنصر موجه لعملية الترجمة، حيث تقول باسنيت: لقد تطورت دراسات الترجمة لتصبح مجالا متميزا خلال الثمانينات، اعتمادا على منهجيات تستند إلى علم اللغة والأدب المقارن، وشعرنا، إلى جانب العديد من الأشخاص الآخرين العاملين في مجال الترجمة، أن الوقت قد حان لزيادة استخدام أدوات التاريخ الثقافي والدراسات الثقافية. الترجمة لنا.[4]

على الرغم من أن التوجهين الأخيرين يبدوان متشابهين من حيث عنايتهما بالعناصر الثقافية المؤثرة في عملية الترجمة، إلا أن هناك فرق أساسي بين دراسات الترجمة الوصفية بزعامة **توري** ودراسات الترجمة ذات المنحى الثقافي الذي اشتهرت به **باسنيت**، فمن جهة توري جميع خيارات المترجم مشروطة بمعايير الترجمة. مما يسمح بإمكانية التكهن بسلوك المترجم الذي ينبغي أن يكون على نحو ما، وأن تتشكل الترجمة وفق تلك المعايير. وهذا ما يفسر اشتراك بعض الترجمات المنجزة في حقبة زمنية معينة بسمات معينة تميزها عن غيرها من الترجمات التي أنجزت في فترة زمنية مغايرة. وعلى العكس من ذلك، فإن المنحى الثقافي لدراسات الترجمة يمنح المترجم حرية ثقافية وسياسية تخول له تحدي معايير الترجمة والاشتباك معها. فهذا الاتجاه الأخير يركز أكثر على الفاعلية الفردية للمترجم من خلال التركيز على الكيفية التي يوظف بها المترجم أجندته السياسية أو الإيديولوجية. ومن هنا تشكل قطبان متناقضان. قطب معياري، يركز على السلوك الجمعي وآخر يهتم بالسلوك الفردي للمترجم.

حتى منتصف التسعينات ظلت دراسات الترجمة تتأرجح بين هذين القطبين البارزين إلى أن سطع نجم علم الاجتماع المعاصر بفضل اسهامات بورديو وآخرون، فتوسل منظرو الترجمة حينها بالمنهج الاجتماعي لتقليص الهوة بين التيارين السابقين والتخلص من ذلك الإستقطاب.

3. مفهوم سوسيولوجيا الترجمة (Sociology of Translation)

إن أول من استخدم مصطلح "سوسيولوجيا الترجمة" في دراسات الترجمة كان هولمز Holmes في ورقة بحثية شارك بها بعنوان " The Name and Nature of Translation Studies" ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الثالث للسانيات التطبيقية المنعقد في كوبنهاغن من 21 إلى 26 أوت من عام 1972. عندما تحدث عن دراسات الترجمة الوصفية ذات المنحى الوظيفي (Holmes, 2000, p. 177). لكن الطرح المنهجي لعلم اجتماع الترجمة لم يتحقق إلا في التسعينيات على يد مجموعة من الباحثين المتأثرين بنظريات علم الاجتماع المعاصر خاصة بنظرية الحقل الاجتماعي لبورديو. وتم نشر أول كتاب حول سوسيولوجيا الترجمة في سنة 2007، هو عبارة عن مؤلف جماعي بعنوان Constructing a Sociology of Translation تحت إشراف مايكل ولف (Michaela Wolf) وألكسندر فوكري (Alexandra Fukari)، جمع الكتاب عشر دراسات مختلفة من إنجاز أقطاب التفكير السوسيولوجي في دراسات الترجمة وتناولت تلك المساهمات المفاهيم التأسيسية لسوسيولوجيا الترجمة.

[4] Translation studies had been developing as a distinct discipline through the 1980s, employing methodologies that drew upon research in linguistics and comparative literature and we felt, along with many other people working in the field of translation, that the time had come for increased employment of the tools of cultural history and cultural studies.

لقد جاءت سوسيولوجيا الترجمة لرد الاعتبار لبعض العناصر التي كانت مهمشة أو مغفلة سابقا، وذلك من خلال الخروج من النص وتجاوز حدوده باتجاه العوامل الخارجة عنه والتي تشارك في انتاج المعنى، على غرار الحضور الاجتماعي والثقافي داخل نص الترجمة، وكذا التأثيرات الاجتماعية الثقافية التي يخلفها هذا النص في محيطه الاجتماعي.

من جهة أخرى، يرى بعض المفكرين أن تبني نظرية بورديو في الحقل الترجمي كان بدافع رد الاعتبار للمترجم الذي لم توله الدراسات السابقة حقه، حيث يوضح ماندي قائلا: لقد تبنى بعض الباحثين نظرية بورديو كبديل أقل حتمية مقارنة بنظرية النظام المتعدد خاصة فيما يتعلق بالتنظير لدور المترجم، والذي بدا غائبًا بشكل مقلق عن النظريات السابقة. الترجمة لنا [5] (Munday, 2016, p. 158)

فهذه المسائل الجوهرية التي اغفلتها المناهج السابقة شكلت محور دراسة المنهج الاجتماعي الجديد. فعلم اجتماع الترجمة "يركز على السمة الاجتماعية للترجمة، ويهدف إلى تعزيز التأثير المتبادل بين الترجمة والمجتمع.الترجمة لنا[6] " (Qingguang, 2014, pp. 88-92)

بالنسبة لمجال الدراسة وموضوع البحث، نجد أن سيوسيولوجيا الترجمة تختص بدراسة ثلاث مجالات أساسية في حقل الترجمة حسب التقسيم الذي أعده شاسترمان (Chesterman) وهي: سوسيولوجيا الترجمات (Sociology of Translations)، وسوسيولوجيا المترجم (Sociology of Translators)وسوسيولوجيا الترجمة(Sociology of Translation). (Chesterman :2006: 12)

– تهتم سوسيولوجيا الترجمات بالترجمة بوصفها منتوجا ضمن سوق دولية، وتعنى الدراسة بتلقي ترجمات معينة في محيط اجتماعي ثقافي معين.

– سوسيولوجيا المترجم هي أهم أقسام علم اجتماع الترجمة، حتى بات جل النقاش السوسيولوجي للترجمة يدور حول المترجم.

– سوسيولوجيا الترجمة وتهتم بعملية الترجمة في حد ذاتها بوصفها فعل اجتماعي من خلال التركيز على العوامل المتدخلة في مختلف مراحل عملية الترجمة، كاختيار موضوع الترجمة، استراتيجيات الترجمة والعلاقة مثلا بالفاعلين الآخرين مثل الزبون.

إن السمة المشتركة بين هذه الفروع الثلاثة التي تشكل ما أصبح يعرف بسوسيولوجيا الترجمة هو المقاربة الاجتماعية للترجمة باعتبارها فعلا بنائيا يؤثر في المجتمع ويتأثر به. غير أن كل فرع منها يتمحور حول عنصر معين من عناصر العملية الترجمية. حيث يهتم الفرع الأول بدراسة ناتج الترجمة كإنتاج ثقافي Cultural Product في إطار سوسيولوجيا الإنتاج الثقافي، في حين يركز الفرع الثاني على المترجم بوصفه فاعلا اجتماعيا Agent، له تأثيره الخاص في المجتمع الذي ينتمي إليه، سواءا كفرد أو كمترجم ويتأثر بالعوامل الاجتماعية المحيطة به. أما الفرع الثالث و الأخير فمعني بعملية الترجمة في حد ذاتها وما يتخللها من صراعات بوصفها فعل اجتماعي Agency. ويندرج تحت هذا المبحث النظر في العوامل التي تتحكم في اختيار النصوص المترجمة، الأساليب المعتمدة في الترجمة، مدى جودة الترجمة وغيرها من المسائل الهامة التي تتعلق بالترجمة.

4. نظريات سوسيولوجيا الترجمة:

عادة ما يجري الحديث عن علم اجتماع الترجمة(سوسيولوجيا الترجمة)، من خلال العودة حصريا إلى نظرية الحقل الاجتماعي لبورديو(Bourdieu)، مع أنها في الواقع ليست النظرية الاجتماعية الوحيدة التي ارتكزت عليها سوسيولوجيا الترجمة. فهناك نظريات أخرى على غرار نظرية الشبكة الفاعلة.(

---

[5] Bourdieu's work has been adopted by some scholars as a less deterministic alternative to the polysystem framework especially as a means of theorizing the role of the translator, which seemed worryingly absent from earlier theories.

[6] The sociology of translation "centers on the social nature of translation, aiming at promoting reciprocity between translation and society".

ANT) التي تطورت على يد كل من لاتور برينو(Bruno Latour)، و مايكل كالون (Michel Callon) وجون لو (John Law) بالإضافة إلى نظرية الأنساق للمفكر الألماني نيكلاس لوهمان(Niklas Luhmann) التي ترتكز على العلاقة بين النسق والبيئة، غير أن هذا الأخيرة لم يكن لها نفس الصدى كما هو الأمر بالنسبة للنظريتين الأولتين وهو ما جعلنا نركز عليهما أكثر في هذه الدراسة.

-1 **نظرية الشبكة الفاعلة** (Actor Network Theory)

تعد نظرية الشبكة الفاعلة واختصارها (**ANT**)، شكل من أشكال البنيوية التكوينية في علم الاجتماع المعاصر، يعود تأسيسها إلى أواخر الثمانينيات على يد كل من لاتور برينو ومايكل كالون وجون لو. تهدف هذه النظرية أساسا إلى دراسة مجتمع مكوناته بشرية وغير بشرية كعناصر فاعلة متساوية الأهمية ومرتبطة ببعضها البعض ضمن شبكات يتم بناؤها من أجل تحقيق هدف محدد. إذ لا يمكن لأي فاعل أن يوجد خارج إطار الشبكة، مهما كان الفعل الذي يقوم به بسيطا (Latour, 1997). والواقع أن هذه النظرية قد ظهرت في بداية تبلورها في شكل مقاربة علمية ترفض فكرة التحديد الاجتماعي للمعرفة، وتحاول فهم وتفسير سيرورة انتاج المعرفة العلمية (Latour, 1987)

إن أهم ما يميز هذه النظرية عن غيرها من النظريات الاجتماعية أنها لا تهتم فقط بالعنصر البشري، بل أيضا تشرك الأشياء (Objects) ضمن الدراسة الاجتماعية وتعتبرها فاعلا حيويا في العملية التفاعلية. وهي تقوم على فكرة الشبكة غير المتجانسة، التي تحتوي على عناصر عديدة متباينة، تؤثر في بعضها البعض من خلال العلاقات التي تجمعها داخل نفس الشبكة، والجدير بالذكر أن نظرية الشبكة الفاعلة تولي عناية خاصة للتكنولوجيا التي تعتبر مكونا أساسيا ضمن الشبكة إلى جانب المكونات الاجتماعية الأخرى.

تمر كل شبكة وفق تصور لاتور بثلاث مراحل أساسية هي: الظهور ومن ثمة التطور فالاستقرار. يكون تطور أي شبكة ضمن أحد الاتجاهين، إما تتقارب العناصر الفاعلة فيما بينها، وتؤثر على بعضها البعض بشكل ايجابي فيتحقق الاستقرار وتكون نقطة انطلاق لشبكة جديدة أوسع، أو يسود التنافر بين عناصر تلك الشبكة، وتتباعد عن بعضها البعض فتتفكك تلك الشبكة وتختفي نهائيا من الساحة. وما التقارب والتنافر في واقع الأمر إلا نتيجة التفاعل الحاصل بين عناصر الشبكة المختلفة.

وإذا حاولنا اسقاط هذه النظرية على دراسات الترجمة، سوف لن يكون المترجم هو الفاعل الوحيد المتحكم في عملية الترجمة، بل إنه يصبح طرفا في هذه الشبكة، له شركاء بشريون وغير بشريين يؤثرون عليه إما سلبا أو إيجابا في اتخاذ قراراته الترجمية، وما يزيد من مقبولية تطبيق هذه النظرية في دراسات الترجمة هو الاهتمام بالتكنولوجيا وتأثيرها على دور المترجم في ظل غزو التكنولوجيا لسوق الترجمة.

ويعتبر بيم أنطوني(Pym Antony) أول من تأثر بهذه النظرية الاجتماعية واستثمر تصوراتها في دراسته لتاريخ الترجمة، ثم جاءت بعده بوزلين ايلين (Buzelin Hélène) التي تبنتها بدورها وأشادت بأهميتها واعتبرتها أهم من نظرية بورديو التي سنتعرض لها لاحقا حيث تقول:

إن ملاحظة الممارسات الترجمية وتسجيلها وتحليلها موضعيا. إلى جانب دراسة مختلف مسودات الترجمة، ستولد بيانات من شأنها أن تسمح لنا بفهم أعمق عمن يشارك في إنتاج الترجمة، وكيفية تفاوضهم على مواقعهم، وكم وأين يمتثل المترجمون إلى المعايير أو يتمردون عليها"الترجمة لنا.[7] (Buzelin, 2005, p. 205)

-2 نظرية الحقل الاجتماعي بورديو(Bourdieu)

---

7 the observation, recording, and analyses of translational practices locally . . . combined with the study of the various drafts of a translation, will generate data that should enable us to get a better idea of who participates in the production of a translation, how they negotiate their position, and of how much and where translators . . . comply with or contest.

Cahiers de Traduction
Volume 30 Issue /01June 2024

يعتبر بورديو من أهم ممثلي المقاربة الصراعية، إذ أن نظريته السوسيولوجية تنبني على دراسة المجتمع باعتباره فضاء للصراع والمنافسة والهيمنة على رؤوس أموال متنوعة. تعطي نظرية بورديو الأهمية للفاعل Agent والبنية المجتمعية على حد سواء. بمعنى أنه يوفق بين الفعل والبنية، أو يجمع بين دور الفاعل وبنية المجتمع. ومن وجهة نظر بورديو ليس الحقل الثقافي في منأى عن هذا الصراع، حيث يتحدث عن الاستيراد والتصدير الفكري قائلا: غالباً ما نعتقد أنّ الحياة الفكرية عابرة للحدود بشكل عفوي وطبيعي. لا شيء أشد خطأً من هذا الاعتقاد. إن الحياة الفكرية، كما كل الفضاءات الاجتماعية، هي مكان للقوميات والإمبرياليات. الترجمة لنا[8]. (Bourdieu, 2002, pp. 3-8)

هذه الرؤية الجديدة التي جاء بها بورديو تحيلنا إلى فكرة الصراع التنافسي ضمن حقل من حقول الإنتاج الثقافي على رأس مال رمزي. وتعنى بحالة التفاوض أو الصراع بين المشاركين في حقل الترجمة من مترجمين وغيرهم. فيكون بذلك بورديو قد أسهم بقدر كبير في تطوير علم الاجتماع المعاصر وكذا علوم أخرى متصلة من خلال مفاهيمه المفتاحية التي أحدثت ثورة في طريقة التفكير الاجتماعي، و التي سنستعرض بعضها فيما يلي لأهميتها في تخليص الترجمة من ثنائيات الأمانة والخيانة، الحرفية والحرية، النص المصدر والنص الهدف وغيرها من الثنائيات التي رافقت التنظير للترجمة.

مع أن كلتا النظريتين السابقتين قد ساهمت في تأسيس سوسيولوجيا الترجمة، إلا أن نظرية بورديو هي الأكثر رواجا وتقبلا من طرف الباحثين كونها تمثل الدراسة العلمية العملية للمجتمع والتفسير العلمي للظواهر الاجتماعية. لقد أحدثت هذه النظرية تغييرا جذريا في الدراسات الاجتماعية، ليظهر أثرها على دراسات أخرى من بينها دراسات الترجمة. يكمن إسهام بورديو في التوفيق بين الذاتية والموضوعية، بين الحتمية والفاعلية، ولعل هذا التوفيق هو ما جعلها أكثر جاذبية لمنظري الترجمة. وما جعلها تستحوذ على اهتمامنا في هذه الدراسة من خلال استحضار أهم المفاهيم الأساسية التي توسلت بها دراسات الترجمة لمقاربة الترجمة مقاربة اجتماعية مثل مفهوم الحقلle champ، مفهوم الهابيتوس l'habitus ومفهوم رأس المال Capital. ويعتبر جان مارك غوانفيتش Jean-Marc Gouanvic من بين منظري الترجمة المعاصرين الذين تأثروا بشكل كبير بنظرية بورديو وتفاعلوا معها ليشارك بذلك في تأسيس سوسيولوجيا الترجمة، حيث ساهم في جعل نظرية الحقل الإجتماعي مناسبة أكثر للحقل الترجمي من خلال إضافاته النوعية و نقد مفاهيمها.

1- مفهوم الحقل: le champ

أسس بورديو نظريته السوسيولوجية على المقاربة الصراعية؛ حيث يتصور الحقل على انه فضاء للصراع والهيمنة والمنافسة بين الأفراد والمجموعات. يتصور بورديو أن العالم الاجتماعي المعاصر مقسم إلى عوالم صغرى يدعوها بالحقول، أوجدها تقسيم العمل في مجتمعنا مثل الحقل

[8] On croit souvent que la vie intellectuelle est le lieu, spontanément internationale. Rien n'est plus faux. La vie intellectuelle est le ...comme tous les autres espaces sociaux, de nationalismes et d'impérialismes

الأدبي، الحقل الفني، الحقل الثقافي، الحقل التربوي والحقل الديني وغيرها. يتمتع كل حقل باستقلالية نسبية عن المجتمع ولديه قوانينه وقواعده الخاصة التي تضبطه على غرار التنافس، الصراع، الهيمنة و العيش المشترك. فلا يخلو حقل من الحقول الاجتماعية في اعتقاده من التنافس الشديد

يعرف بورديو الحقل كما يلي:

يتحدد حقل ما[...] بتحديد رهانات ومصالح خاصة، والتي لا يمكن اختزالها لرهانات ومصالح الحقول الأخرى [...]والتي لا يتم ادراكها من قبل شخص لم تتم تنشئته لدخول هذا الحقل [...]. لكي يعمل الحقل، يجب أن تكون هناك رهانات وأشخاص على استعداد للدخول في اللعبة، يتمتعون بالهابيتوس الذي ينطوي على المعرفة والاعتراف بالقوانين الأساسية للعبة، والرهانات، وما إلى ذلك. الترجمة لنا[9] (Bourdieu, 1984, pp. 113-114).

فالحقل هو ساحة لصراع دينامي حول المصالح المشتركة، وذلك الصراع هو أساس التغييرات والبناء الاجتماعي."أنه بمثابة أسواق لرساميل نوعية، يفكر فيها الفاعلون ويعملون بها تبعا لمواردهم الخاصة داخل مختلف تنوعات رأس المال، فالفاعلون هم من تجعلهم مواقعهم موجودين اجتماعيا في حقل ما دون غيره" (شوفاليه كريستيان و ستيفان شوفيري، 2013، صفحة 148)

وعلى الصعيد الترجمي، يعد المترجم وكيلا ثقافيا يتمتع برأسمال رمزي يتنافس في حقله مع وكلاء آخرين ليسوا بالضرورة مترجمين وإنما فاعلين تربطهم مصالح مشتركة مع المترجم. ومقاربة الترجمة من منظور سوسيولوجي، يجعل منها عملية تفاوض يسعى المترجم من خلالها وهو الذي ينتقل من النص المصدر إلى النص الهدف إلى الإحتفاء بالإختلاف وتحقيق الإئتلاف، فالإختلاف هو ما يمنح للترجمة مشروعيتها من جهة والإئتلاف هو ما يمنح ناتج الترجمة مقبوليته من جهة أخرى. ففعل الترجمة في ضوء هذا الطرح يتعدى كونه مجرد فعل لغوي كما أنه ينطوي على مفارقة تجعل منه فعلا اجتماعيا بامتياز. تكمن المفارقة في سعي الترجمة إلى التعريف بالآخر وجعله مفهوما ومألوفا لدى الأنا في حين لا يتحقق ذلك إلا بنزع الغرابة عن الآخر وتجريده من آخريته. فالترجمة قائمة على التوتر بين فعلين هما المماسفة والملاءمة، فترمي الأولى إلى المحافظة على المسافة بين الأنا والآخر والإبقاء على الغرابة. أما الطريقة الثانية فيتوسل بها المترجم لردم الهوة بين الإثنين. (فكري، 2009)

2. الهابيتوس: l'habitus

يقصد بورديو بالهابيتوس " بعض الخصال المترسخة في داخل عقول البشر وأجسادهم." (سكوت، 2013، صفحة 4) فالهابيتوس سوسيولوجيا يمثل تلك الاستعدادات أو الملكات الدائمة التي يكون الفرد قد اكتسبها أو تطبع عليها عبر التنشئة الاجتماعية. والاستعدادات بدورها هي مجموعة من الميول والاتجاهات والمواقف المتعلقة بالتفكير والإدراك والإحساس، فيستبطنها الأفراد حسب ظروفهم الموضوعية لوجودهم، وتوظف هذه الاستعدادات بطريقة لاشعورية. وتتمثل هذه الاستعدادات المستضمرة في القيم والتصرفات والسلوكيات والمكتسبات المعرفية والذهنية. ويعني هذا أن الهابيتوس عبارة عن مجموعة من البنى المعرفية والإدراكية المستدمجة، ويتم إنتاجها في بيئة اجتماعية محددة. ويعاد إنتاج هذه البيئة من خلال قدرة الهابيتوس على التوليد (حمداوي، 2015).

الهابيتوس إذن هو مجموع ما اكتسبه الفرد وطوره لاشعوريا من تجارب جراء التنشئة الاجتماعية، واستحضار تلك التجارب والخبرات بطريقة غير واعية لحظة مواجهة وضعيات إجتماعية صعبة قصد تقليل حدة الصدام بين الفعل و والمجتمع(البنية). و بهذا يكون الهابيتوس بمثابة الوسيط بين الفعل والمجتمع(البنية).بغرض التكيف مع مختلف المقتضيات الاجتماعية.

[9] Un champ [...] se définit entre autres choses en définissant des enjeux et des intérêts spécifiques, qui sont irréductibles aux enjeux et aux intérêts propres à d'autres champs [...]et qui ne sont pas perçus de quelqu'un qui n'a pas été construit pour entrer dans ce champ [...]. Pour qu'un champ marche, il faut qu'il y ait des enjeux et des gens prêts à jouer le jeu, dotés de l'habitus impliquant la connaissance et la reconnaissance des lois immanentes du jeu, des enjeux, etc.

استطاع بورديو في ضوء هذا المفهوم أن يثبت علاقة التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع، إذ لا يمكن أن ننكر أهمية تأثير المجتمع سلبا أو إيجابا في الأفراد؛ لأن ثمة حتمية مجتمعية تمارس ضغوطها على الفاعلين المجتمعيين. موازاة مع ذلك، يلعب الفرد دورا مهما في تغيير المجتمع و تطويره من خلال الإستعانة بمفهوم الهابيتوس. وهذه هي المعادلة الأساسية التي تقوم عليها البنيوية التكوينية. فالهابيتوس هو بمثابة أفعال محركة لبنية المجتمع، تنطوي على ممارسات جديدة تهدف إلى حل مشكلات الواقع الموضوعي، وتجاوز حتمياته الجبرية. فالهابيتوس يشمل التطبع بالمجتمع من جهة، والتحكم فيه بالفعل الفردي الإبداعي من جهة أخرى. وعليه يمكن القول أن الهابيتوس هو بمثابة آلية التفاعل بين الفعل (الإجتماعي) و المجتمع(البنية).واستطاع بورديو أيضا بفضل الهابيتوس تجاوز عقدة الثنائيات التي ولدت الجدل العقيم وكانت تكبح تقدم الدراسات الاجتماعية من قبيل ثنائية الذاتية والموضوعية، وثنائية الميكرو والماكرو وغيرها.

ولعل مفهوم الهابيتوس من أكثر المفاهيم التي شجعت منظري الترجمة على التوسل بأدوات علم الاجتماع المعاصر نظرا لحاجتهم الماسة في ذلك الوقت لأدوات علمية منهجية لتجاوز ثنائية المعيارية والفاعلية الناتجة عن الصدام بين قطب الدراسات الوصفية وقطب المنحى الثقافي لدراسات الترجمة. فمن منظور ترجمي يدخل المترجم الحقل الاجتماعي بصفته وكيلا محملا بتصورات واستعدادات مكتسبة(هابيتوس) حاز عليها بفضل تنشئته الاجتماعية، تدفعه تلك الإستعدادات إلى اتخاذ خيارات ترجمية معينة يحددها تاريخه الشخصي. واتخاذ قرارات وفقا لتاريخه الشخصي، وتجاربه التي يَستقيها من عصره، ويستمدها كذلك من السياق الاجتماعي المحيط به.

وقد استثمر جان مارك غوانفيتش مفهوم الهابيتوس في مجال الترجمة ليوفق بين الذاتية والموضوعية حيث يقول: الإنتاج اللغوي والثقافي ثنائي اللغة هو نتاج أدوات موضوعية، ويمكن القول أنه نتاج ممارسة ذاتية، ولكن الأدوات الموضوعية تميل لأن تكون ذاتية، بشكل يجعل تلك الأدوات الموضوعية ذاتها تندرج ضمن السلوكات الذاتية. يشار إلى هذا عادة باسم «الخبرة» و «القدرة» «السهولة» و «كفاءة» المترجم. ويتم تقييم قدرة المترجم على ترجمة نص ما من خلال السهولة النسبية التي يجد بها حلولاً للترجمة كما لو أنه يلهو، دون أي عناء، مستنبطا من (الهابيتوس) خاصته حلولا تتوافق مع الوضع. (الترجمة لنا) [10] (Gouanvic, 2007, p. 83).

رأس المال:le Capital

يميز بورديو في نظرية الحقول الإجتماعية بين أنواع مختلفة من رأس المال، وهي التي يسود الصراع بشأنها في مختلف الحقول، و تشمل رأسمال الاقتصادي الذي يتعلق بالموارد المادية والمالية للفرد، ويرصد ثرواته، أما النوع الثاني فهو الرأسمال الثقافي الذي يخص الموارد الثقافية للفرد، وتندرج ضمنها الشهادات العلمية المحصل عليها، المهارات المعرفية والكفاءات المهنية في مجال الثقافة، وكذا المنتوج الثقافي من أعمال إبداعية وفنية، أما الرأسمال الاجتماعي، فيشمل علاقات الفرد الاجتماعية وصداقاته، وهذا النوع مرهون بمدى الذكاء الاجتماعي للفرد الذي يستغله لتأسيس شبكة هامة من العلاقات، أما النوع الرابع فهو الرأسمال الرمزي الذي يجمع بين الأنواع الثلاثة السابقة، و قد أضاف بورديو نوعا خامسا في وقت لاحق ويشمل رأس المال اللغوي. (Bourdieu, 1984)

10 Les productions linguistiques et culturelles bilingues sont le résultat d'une instrumentation objective et, pourrait-on dire, d'une pratique subjective, mais l'instrumentation objective tend à se subjectiver, de sorte que même cette instrumentation objective entre dans la catégorie des comportements subjectifs. C'est ce que l'on nomme couramment "expérience", "capacité", "faculté", "facilité", "compétence" de la traductrice et du traducteur. La capacité d'une traductrice ou d'un traducteur à traduire tel texte s'évalue à la facilité relative avec laquelle elle/il trouve des solutions de traduction comme en se jouant, sans délibérer, en trouvant dans son habitus des solutions ajustées à la situation.

يعتبر رأس المال على اختلاف أشكاله هو المغزى من وراء الصراع الاجتماعي، حيث يكمن هدف بعض الحقول في إنتاج ثروات رمزية نوعية (شوفاليه كريستيان و ستيفان شوفيري، 2013، الصفحات 164-166)، وفي الحقل الترجمي، يتعاطى المنظرون مع مفهوم رأس المال الرمزي le Capital Symbolique على أنه نتاج علاقة اجتماعية، على غرار سمعة الكاتب وصيته، وكذا بانتمائه إلى فضاء ثقافي معين.

يلعب رأس المال الرمزي دورا حاسما في اختيار ترجمة أحد أعمال كاتب ما. وغالبا ما يتكفل مؤلف النص المصدر بنقل رأس المال الرمزي إلى الحقل الهدف، ونادرا ما تسند مهمة نقله إلى المترجم، حتى لو كان وكيل نقل معتمد، تؤهله مكانته الهامة التي يحتلها في حلقة النشر من ذلك (Chartier, 2012, p. 63)

خاتمة

نخلص مما سبق إلى أن علم إجتماع الترجمة(سوسيولوجيا الترجمة) يركز على التفاعل والتأثير المتبادل بين الفاعلين الإجتماعيين، وما المترجم إلا واحد منهم. معنى ذلك أن المترجم ليس المتحكم الوحيد في نصه، بل هناك عوامل وأطراف اخرى تتورط في تكييف نص الترجمة بحيث يمتثل لسياسات لغوية معينة واعتبارات سياسية واخلاقية ومؤسسات رقابية. كل هذه العوامل تؤثر في قرارات المترجم وخياراته سواء كان واعيا بذلك أو لم يكن واعيا. مع أن بورديو لم ينظّر في الواقع للترجمة، لكنه تحدث عن الشروط الإجتماعية لتناقل الأفكار عالميا حيث لا يمكن إغفال الشروط الاجتماعية والسياقات التاريخية المرافقة للإنتاج الفكري، وكذلك المرافقة لـ استيراد وتصدير نص ما من خلال ترجمته. ويمكن القول أن سوسيولوجيا الترجمة مستمدة بالدرجة الأولى من سوسيولوجيا الإنتاج الثقافي لبير بورديو.

قائمة المراجع:

Bourdieu, P. (1984). *Question de sociologie.* Minuit.

Bourdieu, P. (2002, Decembre). Les conditions sociales de la circulation internationale des idées. *Actes de la recherche en sciences sociales, 145*, 3-8. Retrieved from https://www.persee.fr/doc/arss_0335-5322_2002_num_

Buzelin.H (2005). *Unexpected Allies:* Unexpected Allies. The Translator, 11(2), 193-218. https://doi.org/10.1080/13556509.2005.10799198

Catford. (1965). *A Linguistic Theory Of Translation.* Oxford Univ. Press.

Chartier, D. (2012). *TRADUCTION : histoire, théories, pratiques.* Toulouse : Presses Universitaires du Mirail.

Gouanvic, J.-M. (2007). Objectivation, réflexivité et traduction. Pour une re-lecture bourdieusienne de la traduction. In M. W. Fukari, *Constructing a sociology of translation* (p. 83).

Holmes. (2000). The Name and Nature of Translation Studies. In . L. Venuti, *The Translation Studies Reader* (pp. 172-185). New York and London: : Routledge.

Latour, B. (1987). *Science in Action: How to Follow Scientists and Engineers through Society.* Harvard University Press, Cambridge Mass.

Latour, B. (1997). *On Actor-Network Theory. A Few Clarifications.* Consulté le March 25, 2024, sur http://amsterdam.nettime.org/Lists-Archives/nettime-l-9801/msg00019.html

Munday. (2016). *Introducing Translation Studies.* London: Routledge.

Qingguang, W. (2014). A Sociology of Translation: From Text World to Life World. *Theory and Practice in Language Studies, 4*(1), 88-92.

Wei, Q. ((2014)). A Sociology of Translation: From Text World to Life World Theory and Practice in Language Studies. *4*(1), 88-92.

جميل ، حمداوي. (2015). المفاهيم السوسيولوجية عند بير بورديو. *الألوكة الثقافية*. تاريخ الاسترداد 15 :مارس, 2024، من https://www.alukah.net/culture/0/83422/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B3%D9%8A%D9%88%D9%84%D9%88%

D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%A8%D9%8A%D9%8A%D8%B1-%D8%A8%D9%88%D8%B1%D8%AF%D9%8A%D9%88

جون ، سكوت. (2013). *علم الإجتماع: المفاهيم الآساسية*. ترجمة محمد عثمان، بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

شوفاليه كريستيان و ستيفان شوفيري. (2013). *معجم بورديو*. الشركة الجزائرية السورية و دار الجزائر.

سامح فكري (2009) ، فكرة الخيانة والأمانة في الترجمة أصبحت في ذمة التاريخ ، حاوره آزاد احمد وحميد اليزيدي، مجلة الكلمة العدد 27 مارس 2009 http://www.alkalimah.net/Articles/Read/1945.

مونسي حبيب (2003)اللسانيات التداولية والترجمة: مقاربة لإشكالية المعنى في الترجمة من وجهة تداولية، مجلة المترجم مجلد3 العدد 1 الصفحات 165-184.